(كذبت قوم نوح المرسلين [105] إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون [106] إني لكم رسول أمين [107] فاتقوا ا وأطيعون [106] وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العلمين [109] فاتقوا ا وأطيعون [110]) .

استئناف لتسلية الرسول A ناشئ عن قوله (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي لا تأس عليهم ولا يعظم عليك أنهم كذبوك فقد كذبت قوم نوح المرسلين ؛ وقد علم العرب رسالة نوح وكذلك شأن أهل العقول الضالة أنهم يعرفون الأحوال وينسون أسبابها .

وأنث الفعل المسند إلى قوم نوح لتأويل (قوم) بمعنى الأمة أو الجماعة كما يقال : قالت قريش وقالت بنو عامر وذلك قياس في كل اسم جمع لا واحد له من لفظه إذا كان للآدمي مثل نفر ورهط فأما إذا كان لغير الآدميين نحو إبل فمؤنث لا غير . قاله الجوهري وتبعه صاحب اللسان والمصباح .

هذا أن عبارته فظاهر " قويمة وتصغيرها مؤنثة القوم " العبارة هذه الكشاف في ووقع A E اللفظ مؤنث المعنى في الاستعمال لا غير وهذا لم يقله غيره وسكت شراحه عليه ولم يعرج الزمخشري عليه في الأساس فإن حمل على ظاهر العبارة فهو مخالف لكلام الجوهري وابن سيده . ويحتمل أنه أراد جواز تأنيث (قوم) وأنه يجوز أن يصغر على قويمة فيجمع بين كلامه وكلام الجوهري وابن سيده وهو احتمال بعيد من ظاهر كلامه الموكد بقوله : وتصغيره قويمة لما هو مقرر من أن التصغير يرد الأسماء إلى أصولها . وأيا ما كان فهو صريح في أن تأنيثه ليس بتأويله بمعنى الأمة لأن التأويل اعتبار للمتكلم فلا يكون له أثر في إجراء الصيغ مثل التصغير فإن الصيغ من آثار الوضع دون الاستعمال ألا ترى أنه لا تجعل للمعاني المجازية صيغ خاصة بالمجاز .

وجمع (المرسلين) وإنما كذبوا رسولا واحدا أول الرسل ولم يكن قبله رسول وهم أول المكذبين فإنما جمع لأن تكذيبهم لم يكن لأجل ذاته ولكنه كان لإحالتهم أن يرسل ا بشرا وأن تكون عبادة أصنامهم ضلالا فكان تكذيبهم إياه مقتضيا تكذيب كل رسول لأن كل رسول يقول مثل ما قاله نوح عليه السلام ولذلك تكرر في قوله (كذبت عاد المرسلين) وما بعده . وقد حكي تكذيبهم أن يكون الرسول بشرا في قوله (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) في الأعراف .

وسيأتي حكاية تكذيب عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب ليكة على هذا النمط فيما تكرر من قوله (كذبت) وقوله (المرسلين) .

و (إذ قال) ظرف أي كذبوه حين قال لهم (ألا تتقون) فقالوا (أنؤمن لك) . ويظهر أن قوله (ألا تتقون) صدر بعد أن دعاهم من قبل وكرر دعوتهم إذ رآهم مصرين على الكفر ويدل لذلك قولهم في مجاوبته (واتبعك الأرذلون) .

وخص بالذكر في هذه السورة هذا الموقف من مواقفه لأنه أنسب بغرض السورة في تسلية الرسول في تقدم وقد . القبيلة من القريب معنى في مستعمل والأخ . قومه مع حاله مماثل بذكر A قوله تعالى (وإلى عاد أخاهم هودا) في سورة الأعراف .

وقوله (ألا تتقون) يجوز أن يكون لفظ (ألا) مركبا من حرفين همزة استفهام دخلت على (لا) النافية فهو استئناف عن انتفاء تقواهم مستعمل في الإنكار وهو يقتضي امتناعهم من الامتثال لدعوته .

ويجوز أن يكون (ألا) حرفا واحدا هو حرف التحضيض مثل قوله تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) وهو يقتضي تباطؤهم عن تصديقه .

والمراد بالتقوى : خشية ا من عقابه إياهم على أن جعلوا معه شركاء .

وجملة (إني لكم رسول أمين) تعليل للإنكار أو للتحضيض أي كيف تستمرون على الشرك وقد نهيتكم عنه وأنا رسول لكم أمين عنكم .

وكان نوح موسوما بالأمانة لا يتهم في قومه كما كان محمد A يلقب الأمين في قريش . قال النابغة : .

" كذلك كان نوح لا يخون